بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٢٦]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

كنا أخذنا في آخر مجلس من شرح الأربعين الحديث السادس عشر، وهو حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني، فقال ﷺ (لا تغضب) فكرارا مرارا (لا تغضب)، وأنهينا الكلام على ما يتعلق بالحديث، وذكر الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعده حديثا آخرا وهو الحديث السابع عشر، حديث أبي يعلى شداد بن أوس.

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ رقم:١٩٥٥.

[ترجمة موجزة للصحابي الجليل شداد بن أوس ﷺ]

وجاء الحديث من طريق هذا الصحابي، وهو أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي، فهو ابن أخ حسان بن ثابت -شداد بن أوس بن ثابت- وأوس بن ثابت أخو حسان بن ثابت، فيكون حسان بن ثابت رضي الله عنه عما لراوي هذا الحديث، وهو شداد بن أوس فهو ابن أخ حسان بن ثابت، ووالده أوس بن ثابت بدري حضر بدرا.

وكان شداد بن أوس رضي الله عنه كما ذُكر في ترجمته قد أوتي علما وحلما رضي الله عنه، ونزل بيت المقدس وسكن الشام، وأعقب بها، كان له بها الولد، وتوفي هناك ودفن ببيت المقدس بباب يسمى ظاهر باب الرحمة، وكانت وفاته قيل سنة ٤١هـوقيل سنة ٥٨هـ، وقيل سنة ٦٤هـوقد عمر نحو ٧٥ سنة، فوفاته كانت ٦٠، وقيل بعدها.

قد روى له البخاري ومسلم، كل منهما روى له حديثا واحدا، ومجموع رواياته تقرب من ٥٠ حديثا، وحديثه عند أصحاب الكتب رضي الله عنه.

وهذا الحديث تفرد بروايته الإمام مسلم ولم يروه البخاري، وفي سنده أبو الأشعث الصنعاني وهو شامي من الثقات لكن البخاري لم يرو له.

ومضمون هذا الحديث جاء نحوه من حديث سمُرة عند ابن عدي وفي إسناده ضعف، وجاء نحوه أيضا عند الطبراني من طريق آخر، وفيه ضعف كذلك، والحديث الذي معنا رواه مسلم وهو حديث صحيح.

[مكانة الإحسان، وآثار إحسان الله تعالى في خلقه]

وهذا الحديث يعد أصلا عظيما من أصول الشريعة، وهو الإحسان في جميع الأشياء، والله عز وجل قد أمر بذلك.

وجاء في بعض الأحاديث أن الله سبحانه وتعالى هو المحسن، وأمر بالإحسان في كل شيء، جاء في الأحاديث (إن الله محسن فأحسنوا) وإن كان الحديث بهذا اللفظ فيه ضعف لكن من العلماء من حسنه، وأثبتوا لله عز وجل اسم المحسن، فمن أسمائه سبحانه وتعالى "المحسن"، وآثار اسمه عز وجل ظاهرة، فالله سبحانه وتعالى قد أحسن كل شيء، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧﴾ السجدة، ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ... ۝١١﴾ لقمان، ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ التين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ الانفطار.

فآثار إحسانه جل جلاله ظاهرة، فالكون خلقه على أحسن حال، كذا سماواته وأرضه، وخلق الإنسان فأحسنه، وشرع لنا شرائع وفيها غاية الإحسان، ولهذا أمر عز وجل بالإحسان، فقال جل جلاله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ

﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ النحل، وقال ﷻ ﴿..وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ البقرة، ﴿..وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ..٧٧﴾ القصص.

ومن أعلى مراتب الدين الإحسان كما في الحديث الثاني من هذه الأربعين قال (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فالحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وهو الإحسان.

والإحسان مصدر أحسن يحسن إحسانا، وأحسن الشيء أتى به على وصف حسن، غير ذميم ولا سيء، والإحسان هو تقديم ما فيه خير للناس، وعدم الإساءة إليهم، فلو أن الناس أقاموا هذا الحديث وعملوا به لسعدوا دنيا وأخرى، ولزال عن الكثير من المشاكل والخصومات، والنزاعات، والحكومات، والحاكم، وغير ذلك، فالحديث يعد أصلا عظيما من أصول الشريعة كما سيأتي بيانه.

[كتب الله الإحسان كونا وشرعا]

قال ﷺ (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) لفظة "كتب" هاهنا تحتمل معنيين: تحتمل (كتب) كتابة كونية، وتحتمل (كتب) كتابة شرعية.

١= **فمعنى الكتابة الكونية** أن كل شيء مما خلقه الله كتب ﷻ عليه الإحسان، فجعله وخلقه على أحسن ما يكون، وجعل فيه أحسن ما يكون، هذا على معنى الكتابة الكونية (إن الله كتب الإحسان على كل شيء). كتب كتابة كونية، بمعنى أن ذلك واقع، فكل ما كان في هذه الدنيا فهو على أحسن شيء.

٢= **والمعنى الثاني الكتابة الشرعية** وذلك أظهر، وعندها فالمراد بمعنى الكتابة هنا يدور حول الفرض والوجوب، والإلزام، والمشروعية، (إن الله كتب) أي فرض وأوجب وألزم، وحتّم، وشرع كل هذه معاني قائمة ﴿... كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ...١٨٣﴾ البقرة، ﴿.. كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ..١٧٨﴾ البقرة، ﴿..كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ..٢٤﴾ النساء، ومثل هذا في آيات أخرى كثيرة، فيكون موضوع الكتابة هنا بمعنى شرع، فما فيه الوجوب وجب، وفرض، وألزم، وحتم، ويكون ما هو دون ذلك، فيشمل المستحب والمندوب.

يمكن أو يوجّه الحديث بتوجيه آخر فيقال (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) هل هذه الجملة خبرية؟ أو إنشائية؟ خبرية يعني أن الله يخبرنا أنه كتب الإحسان على كل شيء، فإن قلنا خبرية كانت الكتابة بمعنى الكتابة الكونية، وإن قلنا إنشائية، فالإنشاء طلب فالكتابة كتابة شرعية، وهذا المعنى الثاني أظهر وأقرب وأقوى، مع أن المعنى الأول محتمل وهو صحيح.

إذن يحمل الحديث ولفظ الكتابة على المعنيين، أن الكتابة كونية، وشرعية، ويقال إن هذه الجملة خبرية وإنشائية.

[استطراد حول الخبر والإنشاء]

ومن العلماء من يقول: إن الكلام إما خبر، وإما إنشاء، فالخبر ما يحتمل الصدق أو الكذب، الخبر ما يصح أن تقول فيه: هذا صدق، أو كذب، كقولهم: جاء زيد، سافر عمرو، مات فلان، تاب فلان، حضر فلان، فهذه العبارات إما صدق وإما كذب

أما الإنشاء ففيه طلب: هل جاء؟ ماذا تريد من كذا؟ افعل كذا، لا تفعل كذا، هذا لا يقال فيه صدق وكذب، وإنما يقال فيه طلب، فما درج عليه أهل اللغة يقولون: الكلام إما خبر أو إنشاء، لكن هل يكون الكلام خبرا وإنشاءً في نفس الوقت؟ يحتمل هذا ويصح كما بينه ورجحه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه على معنى تحية الإسلام "**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**" فهذه تعني الخبر وتعني الإنشاء - كما أوضحناه سابقا في شرح اسم الله ﷻ السلام- فقولك "**السلام عليكم**" أنت تخبره بالسلام، وأنت صادق في ذلك، وأيضا يتضمن معنى الدعاء أي: اللّٰهُمَّ سلمه، من كل آفة وضرر وعيب، فقد يكون الكلام دالا على الخبر والإنشاء.

فهنا (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) الكتابة كتابة كونية بمعنى أن الجملة خبرية، وكتابة شرعية بمعنى أن الجملة إنشائية.

(إن الله كتب الإحسان) الإحسان من أحسن، أي كون الشيء على أحسن ما يكون، والإحسان مصدر أحسن يحسن إحسانا، وفعل أحسنَ أصله من حسُنَ، وحسُن الشيء أي في ذاته، لكن أحسن

فيه تعدى لمعنى الحسن من إلى، يعني يوجد تحسين للشيء، فالإحسان فيه معنى التعدية، أن يحسّن الشخص الشيء.

فالله ﷻ حسّن مخلوقاته، فما خلق خلقه وأحسن خلقته، وأيضا أمرنا بأن نحسن الشيء، سواء كان من أمور الدنيا أو من أمور الدين.

[لفظة (على) في (كتب الإحسان على كل شيء)]

(إن الله كتب الإحسان) فالإحسان مكتوب علينا مأمور به (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)، (على) تدل على معنى العلو، فقد يكون المراد: إن الله كتب عاليا الإحسان على كل شيء، يعني كونها صفة عليا، كون الإحسان مستعليا على الشيء، يحتمل هذا المعنى.

لكن من العلماء من قال إن لفظة (على) هنا بمعنى (في) أو (إلى)، فيكون المراد (إن الله كتب الإحسان) في (كل شيء) و(كتب الإحسان) إلى (كل شيء)، فكتب الإحسان في كل عمل تعمله، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، الأمر بالمعروف النهي عن المنكر، الجوار، الكلمة الطيبة، البيع، الشراء، المعاملة، الذكر، الذبح، القتلة ..الخ كتب الإحسان في كل شيء تفعله.

وكتب الإحسان إلى كل شيء، أن تحسن إلى كل شيء، وهذه قاعدة عامة (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)، فيكون هذا الإحسان قد كتبه الله في كل شيء وإلى كل شيء، ولهذا قال الله تعالى ﴿..وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾البقرة، وهنا الإحسان إلى الناس لأن سياق الآية في النفقات، وقال ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾النحل، فيشمل الإحسان في الشيء، وأيضا إلى كل شيء، وقال ﷻ ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾آل عمران، (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ) فيه إحسان إلى الغير (وَٱلۡكَٰظِمِينَ

ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ) فهذا إحسان إلى الناس. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ...١٣٥﴾ وهذا إحسان في العمل، والطاعة، والعبادة.

[الإحسان الواجب والمستحب]

(إن الله كتب الإحسان على كل شيء) فهذه قاعدة عامة، يلزم المسلم العمل بها، وهذه الكتابة تشمل ما هو واجب وما هو مستحب:

١= فالإحسان في الواجبات: الإتيان بها على كمال واجبها، هذا من الإحسان الواجب، واستكمالها بمستحباتها فهذا من الإحسان المستحب، أن يأتي بالصلاة على كامل واجباتها، هذا إحسان في الصلاة واجب عليك، واستكمال مستحباتها ومندوباتها إحسان مستحب، وهكذا يقال في الصيام، والزكاة، والحج، وسائر الأعمال.

والإحسان أرفع مراتب الدين وأعلاها، ولهذا النبي ﷺ سئل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، فلما انصرف السائل قال (هذا جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم)، قال العلماء مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، وكل محسن مؤمن وليس كل مؤمن محسن، فأرفع المراتب هي الإحسان، ولهذا قال النبي ﷺ في هذا الحديث (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) كتب الإحسان وهو عالٍ على كل شيء، أو كتب الإحسان في كل شيء، والإحسان إلى كل شيء.

[الإحسان يرفع النزاع والخصام]

ولهذا هذه القاعدة العامة، لو لوظفها المسلم في حياته -كما ذكرنا- لانتفى كثير من النزاع والخصام، أن يحسن في دينه، في عبادته، الإحسان إلى الناس جميعا، الإحسان في عمله، إذا صنع صنعة أحسنها، وأتقنها، ولهذا يقال لصاحب الحرفة، والإدراة، والعمل، والزراعة، والفلاحة، وللتاجر، ومستورد السلع، ومصدرها، والصانع، وكل واحد حاكما كان أو محكوما.

فإذا علم أن الله ﷻ كتب الإحسان في كل شيء وإلى كل شيء، وعملت الأمة بهذا الحديث، لارتفع عنها الكثير من النزاع والخصام، والتحاكم والحكومات فيما بينهم، لما يقع من غش وتدليس وغير ذلك.

[الإحسان مع الله ﷻ]

والإحسان مأمور به العبد فيما بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين غيره، فالإحسان بينه وبين ربه كما قال النبي ﷺ (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أعلى المراتب أن تعبد الله كأنك تراه، تصور نفسك يأمرك الله ﷻ بالصلاة تمتثل وتصلي وأنت ترى الله ﷻ يراقبك، كيف تكون هذه الصلاة؟ لا شغل لك فيها إلا هي، وهذا مقام عال، وهي أن يعبد العبد ربه على هيئة أنه يراه ﷻ، (فإن لم تكن تراه) والحال أننا لا نرى الله ﷻ في الدنيا، وإنما الله ﷻ يراه أهل الجنة في الجنة -نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم منهم وأن يوفقنا لأسباب ذلك- لا نراه في الدنيا حقيقة، لكن المقصود أن يجتهد العبد في عبادة ربه كأنه يراه، فإن لم تستطع هذه المرتبة، فإنه يراك، فاعبده وأنت مستحضر لرؤيته ﷻ لك، وأنه يراقبك.

[متى يُقتل الإنسان في الإسلام]

فهذه قاعدة عامة (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)، ثم فرع لها النبي ﷺ ومثل لها بعض الأمثلة، (فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة)، القتل هو إزهاق الروح، فيترتب على القتل الموت، والموت أن تخرج الروح حتف أنفها في الإنسان أو غيره، فيقول النبي ﷺ مفرعا عن القاعدة (فإذا قتلتم) القتل يقع من المؤمن لغيره، يتصور في الإنسان أو غير الإنسان -أي الحيوان- فقتل المؤمن للإنسان له ضوابط، يكون إما قصاصا، وإما ردة، لا يجوز لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا من باب القصاص، أو من باب الردة، فلان قتل فلانا، فالقاتل العمد يكون في حقه القصاص، والحد داخل في القصاص، فيقام عليه حد القصاص، فالمؤمن يقتل غيره إما قصاصا وإما لأجل الكفر:

١= فلان قتل عمدا متعمدا عدوانا، ولم يرض أهل الميت بالعفو، وطالبوا بالقصاص، فيقتل قصاصا. أو فلان من الناس ارتكب حدا يوجب القتل فيقتل، كأن يقع المؤمن المحصن في الزنا، فإنه يرجم إلى حد

الموت، إذا تقل عمدا عدوانا، وإذا كان وقع في الزنا وهو محصن يرجم إلى حد الموت، إذا قطع الطريق، وقع في المحاربة، قطع الطريق عن الناس، وقتل، وسرق، وفعل، حد الحرابة، وهو القتل.

٢= المؤمن إذا ارتد عن دين قال ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه)[١] هذا أيضا، وقد مر معنا حديث ابن مسعود قريبا (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث)[٢].

٣= أو يقتل كفرا إذا كان في الجهاد ضد الكفرة، أو إذا تعرض له الحربي وأراد قتله فيقتله.

فهنا يكون القتل.

[قتل الحيوان في الإسلام]

(إذا قتلتم فأحسنوا القتلة) وقد يكون وقد يكون القتل لغير الآدمي، أي للحيوان، والحيوان على قسمين: مأكول اللحم، وغير مأكول اللحم:

أ= **مأكول اللحم** لا يقتل، وإنما يُذبح، ويستفاد منه.

ب= **غير مأكول اللحم** عندنا منه خمس تقتل في الحل والحرم قال ﷺ (خمس من الفواسق تقتل في الحل والحرم: الحية، والغراب، والفأرة، والحدأة، والكلب العقور)[٣] فهذه خمس تقتل في الحل والحرم، العقرب يقتل في الحل والحرام يدخل في الحية، فهذه إذا قتلت، فإنه يحسن في قتلها.

غير هذه مما لا يؤكل لحمه هل يقتل؟ لا يقتل إلا لضرورة أو حاجة، فإذا قيل والأسد أو النمر؟ إذا كان عقورا، يعتدي هذا يقتل، أما إن كان في أدغال الغابات، فما لك وله؟ إلا إذا صار يطلع على الناس فيعتدي عليهم، ويفترس منهم فهذا يقتل، فيصير داخلا في الكلب العقور، فغير هذه لا تقتل إلا إذا ترتب عليها مضرة، فإذا ترتب عليها مضرة تقتل ويحسن في قتلها.

[الإحسان في هيئة القتل]

---

[١] أخرجه أحمد (٢٢٠١٥)، وعبدالرزاق (١٨٧٠٥)، وابن أبي شيبة (٣٣٣٩٨).
[٢] أخرجه من طرق أبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠٥٧)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وأحمد (٤٥٢).
[٣] أخرجه البخاري (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨)، والترمذي (٨٣٧)، والنسائي (٢٨٩٠)، وابن ماجه (٣٠٨٧)، وأحمد (٢٤٠٩٨).

(فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) وهذا يدل على عظمة هذا الدين، حتى قتل الكافر، يحسن قتله، وهذا فيه الرد على ماكان عليه أهل الجاهلية، يقطّعون الآذان، ويجدّعون الأنف، ويقطّعون الأطراف، ويفقؤون العين ويسملونها، ونحو هذا، وهذا غير جائز في هذا الدين، حتى الكافر إذا قتل فتُحسن قتلته، (فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة) بكسر القاف على وزن (فِعلة)، و(فِعلة) هو مصدر الهيئة، بخلاف (فَعلة) هو مصدر المرة الواحدة، (ضربه ضَربة) أي واحدة، و(جلس جِلسة المتأدب) هيئة، (فأحسنوا القِتلة) أي هيئة القتل، فحتى الذي يستحق القتل يحسن في قتله.

[بماذا يكون القتل؟]

والقتل إنما يكون بالسيف، ضربة بالسيف، يأتيه من خلفه فيضربه بسيفه فيكون أول ما يقع عليه هو نخاعه، وقطع النخاع هو إنفاذ المقتل، يكون قد نفذ مقتله فيموت، فلا يحس بألم أو تعذيب أو غير ذلك، ولهذا فالحد يكون ضربة بالسيف، وهو قول جمهور العلماء.

[النهي عن المُثلة]

إنما يختلفون في مسائل، لو أن القاتل مثّل بغيره، قتل القاتل إنسانا لكن مثّل به، قطع أطرافه، فقأ عينه، قطع لسانه، ثم أجهز عليه فقتله:

١= فجمهور العلماء يقولون: يفعل به كما فعل بغيره قصاصا، لأن النبي ﷺ لما جيء باليهودي الذي قتل جارية يهودية، فأضجعها ووضع رأسها على حجر، وأتى بحجر آخر فضرب رأسها حتى ماتت، فأدركوها في آخر الرمق، قالوا: من قتلك؟ فلان؟! فلان؟! فلان؟! قالت: هذا، فجيء به فاعترف، فأمر النبي ﷺ أن يقتلوه كما قتلها، فجمهور العلماء قالوا: من قتل بشيء أو بطريقة ما يقتل بها.

٢= وخالف أبو حنيفة فقال: لا، (**الحد ضربة بالسيف**) وهذا حديث مرسل، فقال: لا يجوز التمثيل، لأن النبي ﷺ نهى عن المثلة، وفعله باليهودي كان قبل النهي، ثم نهى النبي ﷺ عن التمثيل فكل قاتل يقتل بالسيف، سواء خنق أو قطع أو مثل، يضرب بالسيف فيقتل، أما أكثر العلماء فقالوا: يفعل به كما فعل بغيره.

وقول أكثر أهل العلم يظهر أقوى، والنبي ﷺ نهى عن المثلة ولكن من مثّل به النبي ﷺ، كحديث العرانيين أولئك الذين جاؤوا للمدينة، فأصابتهم حمى المدينة، فأمر النبي ﷺ أن يخرجوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فخرجوا فلما صحوا قتلوا الراعي، وسملوا عينه، وقطعوا أطرافه وقتلوه، وأخذوا الإبل وفروا، فجاء فيهم الطلب، وجيء بهم إلى النبي ﷺ ففعل بهم كما فعلوا، فيظهر هذا أقرب.

[لا يعذّب بالنار إلا ربها]

لو أنه قتلهم بالحرق، هل يجوز الحرق؟ النبي ﷺ -كما جاء في الحديث- أرسل الصحابة إلى رجلين قال (إذا لقيتموهما فأحرقوهما) ثم قال (إني قدر أرسلتكم إلى فلان وفلان فإذا لقيتموهما فأحرقوهما، ألا فلا تحرقوهما، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار) وفي رواية (النار لا يعذب بها إلا ربها)[1]، فلو أنه قتله حرقا، هل يُقتل حرقا؟

١= من العلماء من قال: لا يقتل حرقا، وإنما يقتل ضربة بالسيف.

٢= وبعض العلماء قال: يقتل ضربة بالسيف ثم يحرّق.

٣= ومنهم من قال: يحرّق كما فعل.

والأقوى أن النبي ﷺ نهى عن التعذيب بالنار، فلا يعذب بالنار إلا ربها ﷻ، فالتعذيب والقتل بالنار لا يجوز، حرام.

(فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) لابد من إحسان القتلة إذا قتل، قد يقول قائل: الزاني المحصن حده الرجم إلى الموت، فهل هذا فيه إحسان في القتلة؟ نقول: الإحسان ما وافق الشرع، فما جاء على وفق الشرع فذلك هو الحسن، ما خالف الشرع فليس بحسن وإن اتفقت عليه جميع العقول، هاهنا قتل المحصن بالرجم قد يقول قائل هل هذا فيه إحسان للقتلة؟ نجيب بأجوبة، نقول: هذا مستثنى، أو نقول حقيقة الإحسان أن توافق الشرع، متى تقول إنك أحسنت في الصلاة؟ إذا وافقت الشرع، متى تكون محسنا في الزكاة؟ إذا وافقت الشرع، متى تكون محسنا في الصيام؟ في الحج؟ في العبادات؟ إذا وافقت، متى تكون

[1] أخرجه البخاري (٣٠١٦)، والترمذي (١٥٧١) واللفظ له، وأحمد (٨٠٥٤)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٨٦١٣).

محسنا في المعاملات؟ إذا وافقت الشرع، متى تكون محسنا في حرفتك؟ في صنعتك؟ إذا وافقت الشرع، والشرع ماذا يقول؟ يقول ﷺ (إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه)، فيجاب على ذلك بمثل هذا.

نكتفي بهذا القدر، والله أعلم.